

# الباب الثاني

دور الفقهاء الحضاري

في

الأندلس في القرن الخامس الهجري

دور الفقهاء السياسي ← والحضاري في الأندلس

## الفصل الأول

### الدور العلمى للفقهاء

أولاً : الدور العلمى للفقهاء فى العلوم الشرعية واللغوية

- أ- العلوم الشرعية : الفقه - الحديث - علوم القرآن
- ب- العلوم اللغوية : اللغة - الأدب - التاريخ والأخبار

ثانياً: الدور العلمى للفقهاء فى العلوم العقلية والعملية

- أ- الفلسفة ( الجدل والكلام ) - المناظرات العلمية
- ب - علم الهيئة والجغرافيا .
- ج - الرياضيات ( الحساب والهندسة ) .
- د - الطب .

دور الفقهاء السياسي ← والحضاري في الأندلس

إذا كان للاضطراب السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري أثر؛ على الفقهاء سياسياً فإن الثراء الثقافي الذي حظيت به الأندلس خلال هذا القرن بإجماع المؤرخين قد ترك طابعه على الفقهاء أيضاً، وبخاصة وأن هذه الشريحة من المجتمع كانت تعد مرآة العصر في ذلك الحين، وكتب الترجمة الأندلسية مليئة بترجم عدد كبير من الفقهاء الذين تركوا بصمات على الساحة العلمية والأدبية والثقافية بشكل عام في الأندلس على الرغم من إجماع أغلبهم عن تولي المناصب السياسية والإدارية وتفرغهم بشكل كامل للعلم، فأثروا الحياة الثقافية كما أثرت بهم أيضاً، وهذا ما سوف يتناوله هذا الفصل من حيث إلقاء الضوء على أهم مؤلفاتهم الفقهية ومدى تطورها عن مثيلتها في عصور سابقة، ومدى مشاركتهم في العلوم الأخرى وانجازاتهم العلمية والمناظرات العلمية التي شاركوا فيها وأظهرت مدى نبوغهم وقدرتهم.

### أولاً: الدور العلمي للفقهاء في العلوم الشرعية واللغوية

كان من الطبيعي أن يحدث تطور في مؤلفات فقهاء الأندلس في القرن الخامس الهجري عن سابقتها في القرن الرابع نظراً لما تطلبتة قضايا القرن الخامس، فقد اقتصرت مؤلفات فقهاء القرن الرابع على شروح ومختصرات للموطأ والمدونة وغيرها من أمهات الكتب المتعلقة بمذهب الإمام مالك، وباستثناء الكتب القليلة العدد التي تناولت المذاهب الأخرى فإن أغلب الكتب في هذا القرن قد دارت حول المذهب المالكي.

أما فقهاء القرن الخامس الهجري فقد اتسع علمهم وبدأوا يتطلعون إلى المذاهب الأخرى ويولوها اهتمامهم بالدراسة والشرح، هذا بالإضافة إلى وجود الكتب الأصولية مثل كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم، وكتاب (إحكام الفصول وأحكام الأصول) للباي وغير ذلك. ولعل السبب المباشر في هذا التطور الملحوظ لفقهاء القرن الخامس ما حدث من تطور في رحلاتهم إلى الشرق في عصر الإمارة الأندلسية التي كانت

قاصرة على أداء فريضة الحج والذهاب إلى الحجاز حيث كان يقيم الإمام مالك ، ثم توسعت في القرن الخامس فشملت مصر والشام والعراق وبلاد المغرب وإفريقية.

## الفقه والحديث :

إنتشرت في الأندلس في القرن الخامس الهجري كتب الفقه مع استمرار الكتب الخاصة بالشروح والمختصرات وشروح الشروح واختصار المختصرات الخاصة بمصادر المذهب المالكي ، كما وجدت كتب فقهية تعنى بجمع المسائل الخاصة بفقيه معين وأحكامه فيها والتعليق عليها ويقصد بها كتب النوازل والتي تعد تكريساً لخبرة الفقهاء في الأفضية والأحكام كى يستفيد منها الفقهاء فى العصور اللاحقة ، كما تساعدهم على تطوير أحكامهم . وتتميز كتب النوازل الفقهية بنقلها لأحوال الأندلس الاجتماعية والاقتصادية بصورة واضحة ، ولا بد أن يكون لسوء الأوضاع السياسية فى الأندلس خلال هذا القرن موضوع الدراسة أثره على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية من خلال هذه النوازل .

ومن رأى " ابن خلدون " أن الفقه قد انقسم إلى طريقتين طريقة الرأى والقياس وتمثلت فى أهل العراق ، وطريقة الحديث وتمثلت فى أهل الحجاز ، وانتشر القياس بين أصحاب مالك ، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة فى النصوص والإجماع ، وإذا كان الغالب على الأندلس الرأى والقياس . أما الظاهرية فتمثلت فى فئة معارضة من الفقهاء على رأسهم " ابن حزم " ، وقد وصل التنافس بين المالكية والظاهرية إلى أوجه فى القرن الخامس الهجرى لأن الفقيه " ابن حزم " تعرض للكثير من أئمة المسلمين وخالف الظاهرية فى بعض الأمور فتعرض لنقم الناس وحظر بيع كتبه بل وحرقتها (١) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

ويجدر الإشارة إلى أن مؤلفات الفقهاء في هذه الحقبة يصعب على الباحث حصرها ولهذا ستقتصر الإشارة على نماذج منها. فممن ألف في الفقه الفقيه " أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن إبراهيم بن أبي زنين " ( ت. ١٠٧٥هـ/١٠٠٧م ) وله كتاب المنتخب في الأحكام<sup>(٢)</sup> ، ويقع في عشرة أجزاء في سفرين تحوى على مسائل الأفضية والأحكام المختلفة ، وقد ركز فيها المؤلف على الفقه المالكي ، وسجل آراء فقهاء المالكية وأحكامهم ، فأصبح هذا الكتاب مصدراً يعتمد عليه الفقهاء فيما بعد في إصدار أحكامهم ، مثل القاضى " أبوالأصبغ عيسى بن سهل " الذى استعان به فى تأليف كتاب (الأحكام الكبرى)<sup>(٣)</sup> .

ومنهم الفقيه " أبو عبدالله بن الحذاء " ( ت. ١٠٢٤هـ/١٠٤١٦م ) وله كتاب (الاستنباط لمعاني السنن والأحكام من أحاديث الموطأ) فى أربعة أسفار<sup>(٤)</sup> . والفقيه "يونس بن عبد الله بن مغيث بن الصفار" ( ت. ١٠٣٦هـ/١٠٤٢٨م ) وله كتاب (الموعب فى تفسير الموطأ)<sup>(٥)</sup> . والفقيه " الحسن بن أيوب الأنصارى " ( ت. ١٠٣٣هـ/١٠٤٢٥م ) وله كتاب ( مسائل ابن زب ) فى أربعة أجزاء<sup>(٦)</sup> .

ومن الفقهاء الذين كتبوا النوازل الفقهية الفقيه " عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدى " ( ت. ١٠٥٦هـ/١٠٤٤٨م ) وله كتاب ( الإعلام بنوازل الأحكام ) الذى اعتمد عليه الكثير من الفقهاء وكانت نوازه مرآة لعصره، ساعدت على فك الكثير من جوانب

(٢) أنظر محمد عبد الوهاب خلاف : الفقيه أبو عبد الله بن أبي زنين ومخطوطة منتخب الأحكام ، معهد المخطوطات العربية ، مج ٣ ، ج ١ ، يناير، سنة ١٩٨٦م ، شوال ١٤٠٦هـ ، ص ٢٢٧ . وتعد الحقبة التى عاش فيها هذا الفقيه خارج نطاق البحث ، لكن استمرار تأثيره من خلال تلاميذه الذين تأثروا بمؤلفاته وآرائه وميوله فى القرن الخامس الهجرى كان مدعاة للإشارة إلى دوره .

(٣) محمد عبد الوهاب خلاف : الفقيه ابن أبي زنين ، ص ٢٢٥ .  
(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٣٤ ؛ ابن فرحون : الديباج ، ج ١ ، ص ٣٨ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

(٥) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٣٩ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ ؛ النباهى : قضاة الأندلس ، ص ٩٥،٩٦ ؛ ابن فرحون : الديباج ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٦) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤١٥ .

الغموض<sup>(٧)</sup> . كما اشتهرت نوازل الفقيه " أبوالمطرف الشعبي " ( ت. ٤٩٩هـ ١١٠٧م )  
الذي كان بصيراً بالنوازل حتى قال عنه النباهي : " له مجموع نبيل في نوازل الأحكام  
يقرب من مفيد بن هشام إلا جملة تقايد في مسائل " <sup>(٨)</sup> .

ومن أشهر فقهاء هذا القرن الفقيه "أبو محمد علي بن سعيد بن حزم"  
( ت. ٤٥٦هـ ١٠٦٤م ) الذي عرف بغزارة مؤلفاته وشهرتها<sup>(٩)</sup> ، ومن مؤلفاته في الفقه  
كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) وهو عبارة عن مجلدين من ثمانية أجزاء تحدث فيها  
عن الإجماع والقياس والاستحسان والاستنباط والتقليد وغير ذلك من الموضوعات التي  
شغلت الفقهاء<sup>(١٠)</sup> .

ومن أقطاب هذا العصر في الفقه الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبد البر "  
( ت. ٤٦٣هـ ١٠٧١م ) ومن مؤلفاته الفقهية كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني  
والأسانيد) وكتاب (الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار)<sup>(١١)</sup> ، وكتاب (التقصي  
لحديث الموطأ أو تجريد التمهيد)<sup>(١٢)</sup> .

ومن الفقهاء الأعلام في القرن الخامس الهجري الفقيه " أبو الوليد سليمان خلف  
ابن وارث الباجي " ( ت ٤٧٤هـ ١٠٧٢م ) ، وأبرز ما وصف به هذا الفقيه من قبل أشد  
خصومه يعد وصفاً دقيقاً لدوره ومكانته وأثره ، فقد قال عنه ابن حزم : " لولم يكن  
لأصحاب المذهب المالكي بعد عبدالوهاب ( قاضي مالكي وزعيم المالكية بالمشرق ) مثل  
أبي الوليد الباجي لكفاهم " <sup>(١٣)</sup> . وقد أُلّف العديد من الكتب مثل كتاب  
( المنتقى ) وهو شرح لكتاب الموطأ من سبعة أجزاء ، وهو مختصر لكتابه ( الاستيفاء )

(٧) النباهي : قضاة الأندلس ، ص ٩٧ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٩٧ .

(٩) الحميدى: الجذوة، ق٢، ص٤٨٩؛ القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، المتنبي، القاهرة - ب. ت، ص ١٥٦

(١٠) ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام، المقدمة .

(١١) ابن خبير : فهرسه مارواه عن شيخه ، ، ص ٨٦ . الزركلي : الأعلام ، ج ٨ ، ص ٤٠ .

(١٢) ابن خبير : نفسه، ص ٩١ .

(١٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

ويعد أفضل كتاب ألف لشرح مذهب مالك (١٤). وله كتاب ( إحكام الفصول في أحكام الأصول ) ويعتبر هذا الكتاب من أجل الكتب الأصولية حيث أورد فيه " الباجي " الكثير من آراء العلماء السابقين له والمعاصرين من المذاهب المختلفة المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية والظاهرية في بعض الأحيان ، كما أنه حرص على إبراز الآراء المالكية ولم يقتد بها بل خالفها في كثير من الأحيان (١٥) . كما ألف " الباجي " رسالة في الحدود وهي عبارة عن مجموعة تعريفات للعلم الضروري والعلم النظري والاعتقاد والجهل والظن والشك والسهو والعقل والفقه وأصوله والدادل والمستدل والمستدل عليه والاستدلال والبيان والهداية والنص والظاهر والعموم والخصوص والمجمل والمفسر والمحكم والتشابه والحقيقة والمجاز والأمر والواجب والمندوب إليه والمباح والسنة والعبادة والحسن والظلم والجائر والشرط والخبر والصدق والتواتر والمسند والموقوف والإجماع والتقليد والاجتهاد والرأى والاستحسان والذرائع والقياس والأصل والفرع والعلة وأنواعها والظن والعكس والطرده والتأثير والنقد والكسر والقلب والمعارضة والترجيح والانقطاع (١٦) .

والفقيه " أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري " ( ت. ٤٨٧ هـ ١٠٩٥ م ) وله عدة مؤلفات في الفقه مثل كتاب (أعلام نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وكتاب ( المؤلف والمختلف ) (١٧) .

أما في علم الحديث فقد جعل الأندلسيون موطأ مالك من أصول كتب الحديث لأنه كان إمام محدثي المدينة في عصره ، وكان أول فقيه وجه أنظار المسلمين إلى ضرورة الاعتماد على الحديث باعتباره أحد أصليين قام عليهما الفقه المالكي ، وإذا كان فقهاء الأندلس المالكيون قد اعتبروا أن إعتقاد " بقى بن مخلد " و " محمد بن وضاح " تائرين على

(١٤) الباجي : المنتقى .

(١٥) الباجي : إحكام الفصول في أحكام الأصول ، ص ٣٣ .

(١٦) الباجي : رسالة في الحدود الإسلامية

(١٧) ابن خير : فهرسه مارواه عن شيخه ، ص ٢١٩ .

الفقه المالكي ، ولكنها في الحقيقة عوناً إلى جذور المالكية أو أصول الفقه المالكي الذي اعتمد على الحديث والسنة ، ولأن مالك كان محدثاً ، فإن كثيراً من فقهاء المالكية في الأندلس قد برعوا في علم الحديث ، وبالتالي تعد حركة " بقى بن مخلد " و" محمد بن وضاح " رجوعاً إلى المالكية في صفاتها الأولى (١٨) .

ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد التي كان من أشهرها كتاب ( مسند البخاري ) إمام المحدثين في عصره الذي أخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، ولكنه كرر كثيراً من الأحاديث في عدة أبواب ، واشتمل المسند على تسعة آلاف وأربعمائة حديث منها ثلاثمائة حديث متكرر ، ثم ألف الإمام " مسلم " مسنده الصحيح الذي حذا فيه حذو البخاري وحذف المتكرر من الأحاديث (١٩)

وقد كثرت عناية علماء المغرب بالحديث وانكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري للسبب السابق ذكره (٢٠) ، وإن كان مسند الإمام " مسلم " أكثر إنتشاراً في الأندلس لأنهم أخذوه عن أهل المغرب ، وقد ألف عليه الإمام " المازري " شروحاً وسماه ( المعلم بفوائد مسلم ) وهو كتاب جمع بين علمي الحديث والفقه ، ثم أكمله " القاضي عياض " في كتاب أسماه ( إكمال المعلم ) ، وبعدهما " النويري " الذي تناول شروح الكتابين ثم زاد عليهما فجاء شرحاً وافية (٢١) .

ومن العلماء الذين اهتموا بعلم الحديث " أبو المطرف عبدالرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ بن فطيس بن سليمان " (ت١٠١٠هـ٤٠٢م) ، فكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين ، حافظاً للحديث وعلله ، له عناية كاملة بتقعيد السنن

(١٨) سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفي في الأندلس ، ص ١٠٩ .

(١٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٢٠) نفس المصدر ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٢١) نفسه .

والأحاديث المشهورة والحكايات المسندة جامعاً لها مجتهداً فى سماعها ورؤايتها، وكان يملئ الحديث من حفظه فى مسجده، وله كتاب ( الأخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين ) من أربعين جزءاً ، وكتاب ( مسند حديث محمد بن فطيس ) (٢٢) .

ومن هؤلاء العلماء الفقيه " عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن جحاف المعافرى " فقيه وقاضى ببلنسية ، سمع الحديث من " خلف بن هانى " وكان والده عبدالله فقيهاً ومحدثاً أيضاً (٢٣) . والفقيه " إبراهيم بن محمد بن حسين بن شيطر الأموى " (ت. ٤٠٢هـ - ١٠١٠م ) من طليطلة ويكنى أبا إسحاق ، له رحلة إلى المشرق وكان زهداً فاضلاً غلب عليه علم الحديث والتميز له (٢٤) . والفقيه " أحمد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبى " (ت. ٤٠٣هـ - ١١١١م ) ، من أهل طليطلة ويعرف بابن أرفع رأسه ، بصيراً بالحديث وعلله إضافة إلى كونه فقيهاً جليلاً (٢٥) . والفقيه " أبو القاسم المهلب أحمد بن أسيد بن أبى صفرة التميمى " (ت. ٤٢٠هـ - ١٠٢٨م ) ، فهو فقيه محدث له كتاب فى الحديث مسماه ( النصح فى إختيار الصحيح ) (٢٦) .

والفقيه " ابن حزم " مشاركات فى علم الحديث لاعتناؤه به عناية شديدة ذلك لأن الحديث جزء هام من المذهب الظاهرى ولهذا فإن أنصاره جعلوا السنة هدفاً لدراساتهم (٢٧) . وانتقد " ابن حزم " المالكيين لأنهم جمدوا الفقه على كتب المدونة والمستخرجة أو كتب المسائل وتركوا ربح المذهب المالكى وقاموا بتقليد أصحاب المذهب

(٢٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ؛ ابن فرحون : الديباج ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .

(٢٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٤٣٧ .

(٢٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٢٥) ابن بشكوال : نفسه ، ص ٥٦ .

(٢٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨٢٤ ؛ ابن فرحون : الديباج ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢٧) جمعة شبيخة : الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية فى القرن الخامس والسادس الهجرى ، الملتقى العربى

الأسباني ، المعهد الأسباني العربى للثقافة . بمريد، سنة ١٩٨٣م ، ص ١٠٣ .

مما أدى إلى ضعف علم الحديث وعدم معرفة صحيحة من سقيمه (٢٨) . ومن مؤلفاته في هذا العلم كتاب ( الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لمجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع ) وقد أورد فيه أسماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة منها والأحاديث الواردة الصحيح والسقيم بالأسانيد (٢٩) .

ومن كبار المحدثين في الأندلس في القرن الخامس الهجري أيضاً الفقيه المحدث "أبو عمر بن عبد البر" الذي قال عنه الباجي : " أنه لم يكن بالأندلس مثله في الحديث " (٣٠) ، وقد سبقت الإشارة إلى مؤلفاته .

### علوم القرآن (التفسير والقراءات)

وأما التفسير، فالمعروف أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملاً جملاً وآيات آيات ، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له فكان النبي (ﷺ) يبين المجلد ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه ، ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ونقل ذلك عنهم ، " ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ، وبنوت الكتب ، وكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك إلى " الطبري " و " الواقدي " و " الثعالبي " وأمثالهم من المفسرين ، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار " (٣١) .

(٢٨) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، ج ٤ ، ١٩٨٣م ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ؛ سالم يفتوت : ابن حزم والفكر الفلسفي ، ص ١٠٩ .  
 (٢٩) الحميدي : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٤٩٠ .  
 (٣٠) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨٢٥ .  
 (٣١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

ثم صارت علوم اللسان صناعة من الكلام فى موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة فى التركيب ، فوضعت المؤففات فى ذلك ، فاحتيج إلى ذلك فى تفسير القرآن لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم ، وصار تفسير القرآن على طريقتين : تفسير نقلى مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهى معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات ونلك بالنقل عن الصحابة والتابعين (٣٢) . وقد جمع المتقدمون ذلك إلا أن كتبهم ومنقولاتهم إشمطت على الغث والسمين والمقبول والمردود ، ثم رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص ، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب ، فخلص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة فيها ، ووضع ذلك فى كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس ، وتبعه القرطبى فى تلك الطريقة على منهاج واحد فى كتاب آخر مشهور ( تفسير القرطبى ) (٣٣) . أما الطريقة الأخرى فى التفسير ، وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب (٣٤) .

على أية حال فإن فقهاء الأندلس فى القرن الخامس الهجرى كانت لهم مشاركة فى التفسير كما كانت لمن سبقهم مثل الفقيه " أبو عبدالرحمن بقى بن مخلد " الذى أشاد "ابن حزم" فى رسالته بكتابه فى تفسير القرآن ونكر أنه لم يؤف مثله فى الإسلام (٣٥) ومن فقهاء القرن الخامس الذين اهتموا بالتفسير الفقيه "هشام بن عبدالرحمن بن عبدالله" (ت ٤٢٣هـ ١٠٣١م) المعروف بابن الصابونى ، من أهل قرطبة ، وله كتاب فى تفسير البخارى على حروف المعجم (٣٦) . والفقيه " أبو محمد بن الشقاق " ( ت. ٤٢٦هـ ١٠٣٤م ) الذى كانت له مشاركات فى التفسير (٣٧) . وقد أشار " ابن سعيد "

(٣٢) نفس المصدر ، ص ٢٤٨ ، ٣٤٩ .

(٣٣) نفسه ، ص ٣٤٩ .

(٣٤) نفسه ، ص ٣٥٠ .

(٣٥) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ١٦٥ ؛ رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس . تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم فى نفع الطيب ، ص ١٧٤ .

(٣٦) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦١٥ .

(٣٧) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٢٩ .

في تذييله لرسالة ابن حزم إلى كتاب ( الهداية إلى بلوغ النهاية ) الذى صنفه الفقيه " أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطلبى " ( ت. ٤٣٧هـ-١٠٤٥ م ) وهو من عشرة أسفار ولفس الفقيه كتاب آخر هو ( تفسير إعراب القرآن ) . وكذلك الفقيه " عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الخشنى " ( ت. ٤٤٧هـ-١٠٥٥ م ) والمعروف بابن أبى جعفر الذى قال عنه ابن بشكوال أنه كان عارفاً بالتفسير<sup>(٣٨)</sup> . والفقيه " أحمد بن مغيث ابن أحمد بن مغيث الصدفى " ( ت. ٤٥٩هـ-١٠٦٧ م ) فكان فقيهاً محدثاً مفسراً<sup>(٣٩)</sup> .

أما عن علم القراءات فقد ساهم الفقهاء مساهمة فعالة فى علم القراءات وبخاصة أنه لقى تشجيعاً من الحكام مثل " مجاهد العامرى " حاكم دانية والجزر الشرقية الذى شجع هذا العلم وغيره من العلوم<sup>(٤٠)</sup> . ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه " أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج بن عيسى اللخمي المقرئ " ( ت. ٤١٠هـ-١٠١٨ م ) الذى كانت له مؤلفات فى معانى القراءات أخذها الناس عنه<sup>(٤١)</sup> . والفقيه " أحمد بن عبدالقادر بن سعيد بن أحمد ابن عبدالقادر الأموى " ( ت. ٤٢٠هـ-١٠٢٨ م ) الذى ألف كتاب ( التحقيق ) فى القراءات السبع يتكون من سفرين<sup>(٤٢)</sup> . والفقيه " سعيد بن يحيى بن محمد بن سلمة التنوخى " ( ت. ٤٢٦هـ-١٠٣٤ م ) الذى كانت له تولى فى القراءات وقال عنه ابن بشكوال أنه كان مجوناً للقرآن حافظاً لقراءته<sup>(٤٣)</sup> . والفقيه " أبو محمد بن الشقاق " الذى كان يقرأ الناس القراءات السبع ويضبطها ضبطاً جيداً<sup>(٤٤)</sup> . والفقيه " مكى بن أبى طالب بن محمد بن مختار القيسى المقرئ " الذى كان مجوناً للقراءات السبع وله عدة مؤلفات

(٣٨) الصلة ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .  
 (٣٩) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٦٣ .  
 (٤٠) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢١١ ؛ كليبا سارنلى : مجاهد العامرى قائد الأسطول فى غرب البحر المتوسط ، ص ٢٣٩ .  
 (٤١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٦ .  
 (٤٢) نفس المصدر ، ص ٤٤ .  
 (٤٣) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢١٤ .  
 (٤٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٢٩ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

منها كتاب ( الرعاية لتجويد القرآن ) و( إنتخاب نظم القرآن ) و( التذكرة فى القراءات السبع ) و( التنبيه ) و( المنتخب ) و( الإبانة عن معانى القراءات ) و( الكشف عن وجوه القراءات السبع ) وغير ذلك <sup>(٤٥)</sup> . أما إمام القراءات فى القرن الخامس الهجرى فهو الفقيه " عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى المقرئ " المعروف بابن الصيرفى ( ت. ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م ) الذى ألف العديد من المؤلفات مثل (التحديد فى معرفة التجويد لتلاوة القرآن ) و( الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواه وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات ) و( تاريخ طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين ) <sup>(٤٦)</sup> .

كما كانت للفقيه " أبى الوايد الباجى " مساهمته فى علم القراءات بكتابه (الناسخ والمنسوخ) <sup>(٤٧)</sup> . وهناك العديد من الفقهاء من أمثال " محمد بن عيسى بن فرج بن إسحاق المقرئ " والفقيه " سليمان بن أبى القاسم نجاح " والفقيه " العاصى بن خلف بن محرز المقرئ " وغيرهم .

ومن العلوم التى حازت على إهتمام الفقهاء علم تفسير الرؤيا القائم على تفسير قول رسول الله (ﷺ) : " الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " <sup>(٤٨)</sup> ، وإن كان ابن حزم قد ذكر فى ذلك أنه " طبع فى المعبر مع عون العلم عليه ولا يقطع بصحته إلا بعد ظهور ذلك عليه لاقبله " <sup>(٤٩)</sup> . وقد ظهرت العديد من المؤلفات فى هذا العلم على طول القرن الخامس الهجرى .

(٤٥) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٥٦١ ؛ القاضى عياض : نفس المصدر ، ص ٧٣٨ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٩٧-٥٩٩ ؛ ابن خير : فهرسه مارواه عن شيوخه ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٦ .  
(٤٦) الحموى : معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٣٥ ؛ ابن خير : فهرسه ، ص ٤١ ، ٧٢ ؛ المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٤٧) ابن فرحون : الديباج ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٤٨) الإمام مالك : الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى ، ج ٢ ، ص ٩٥٦ .

(٤٩) رسالة مراتب العلوم ، ج ٤ ، ص ٨١ .

## ب : العلوم اللغوية

### اللغة والأدب :

أولى أهل الأندلس اللغة العربية عناية خاصة منذ العصر الأموي ، وقد اعتمدت في بداية الأمر على مصنفات العلماء المشاركة الوافدين أو ما استجلبه العلماء الأندلسيون من المصنفات اللغوية في رحلاتهم إلى المشرق <sup>(٥٠)</sup> . وكان من أبرز علماء اللغة الذين جلبت مصنفاتهم كتاب سيدييه وكتاب الكسائي وأبو علي القالي وابن السمينه <sup>(٥١)</sup> .

وكانت مبادئ التعليم في الأندلس تعتمد بشكل عام على العلوم الدينية والعلوم اللغوية ، ولهذا ارتبط الفقهاء بعلوم اللغة ويرعوا في إجادتها . وقد عرف " ابن خلدون " علم اللغة بأنه بيان الموضوعات اللغوية وما سماه أهل النحو الإعراب ، وعرض للكثير من الأوائل الذين اهتموا بهذه العلوم مثل " الخليل بن أحمد " و " ابن سيده " <sup>(٥٢)</sup> . أما " ابن حزم " فقد أرجع دراسة اللغة إلى كتابين ( الغريب المصنف ) لأبي عبيد و ( مختصر العين ) للزبيدي <sup>(٥٣)</sup> .

أما " المقرئ " فقد أشار إلى أن ملوك الطوائف قد شجعوا الأدباء والشعراء فقال " ولما ثار بعد إنتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم إجتماع على النعم لفضلاء العباد ، إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوية على المنثور والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم " <sup>(٥٤)</sup> .

(٥٠) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٨٠ ؛ محمد أبو الفضل : تاريخ المرية الأندلسية ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٥١) السيرطي : بغية الوعاه ، ج ١ ، ج ٢ ، صفحات متعددة .

(٥٢) المقدمة ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ؛ المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ١٨٥ .

(٥٣) رسالته في مراتب العلوم ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

(٥٤) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ - ص ١٨٣ .

ولعل فيما ورد عن المقرئ إشارة إلى ما كان في القرن الخامس الهجري من ثراء أدبي ، والفقهاء " الحسن بن أيوب الأنصاري " ( ت . ٤٢٥هـ ١٠٣٣م ) أبي علي والذي كان وافر الحظ من الأدب والشعر وبخاصة في الزهد والرثاء<sup>(٥٥)</sup> . والفقهاء " عبد الملك بن سليمان بن عمر بن عبدالعزيز الأموي " ( ت . ٤٢٩هـ ١٠٣٧م ) وعرف بابن القوطية ، كان عالماً باللغة العربية ويعد واحداً من أقطابها<sup>(٥٦)</sup> . والفقهاء " عبدالرحمن بن أحمد بن خلف " ( ت . ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م ) والمعروف بابن الحوات الذي أجاد الأدب والشعر إلى جانب الفقه<sup>(٥٧)</sup> . والفقهاء " محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبدالسلام الأنصاري " ( ت . ٤٥٥هـ ١٠٦٣م ) والمعروف بابن شق الليل الذي أجاد الأدب والشعر<sup>(٥٨)</sup> .

ومن أجل الفقهاء الذين تركوا بصماتهم على الأدب الفقيه " ابن حزم " الذي أشتهر بالأدب إلى جانب الفقه لكثرة مؤلفاته الأدبية ، ومن أهم مؤلفاته كتاب ( طوق الحمامة في الألفة والآلاف ) الذي صور فيه المشاعر الإنسانية والعلاقة بين الرجل والمرأة في هذه الفترة<sup>(٥٩)</sup> ، وكتاب ( مداواة النفوس في الأخلاق والسير ) الذي تحدث فيه عن الصفات الحسنة والشماثل التي يجب أن يتحلى بها الإنسان<sup>(٦٠)</sup> .

وشارك العديد من الفقهاء في هذا الميدان مثل الفقيه " محمد بن أحمد بن محمد " ( ت . ٤٦٠هـ ١٠٦٨م ) وكنيته أبي العباس الذي كان عالماً بالنحو واللغة والأدب وله العديد من المؤلفات مثل ( شرح في غريب المصنف لأبي عبيد ) و ( شرح أدب الكتاب ) الذي ناقض فيه " أبي محمد البطليوسى " <sup>(٦١)</sup> . والفقهاء " عبدالله بن فرج بن غزنون اليحصبي " المعروف بابن العسال ، والفقهاء " أبو عبيد البكري " ( ت . ٤٨٧هـ ١٠٩٥م ) الذي ألف

(٥٥) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ - ص ١٩٤ .  
 (٥٦) النعالبي : يتيمة الدهر ، ت . مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٤م ، ج ٢ ، ص ٨٣ .  
 (٥٧) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .  
 (٥٨) نفس المصدر ، ص ٥١١ ؛ السيوطي : بغية الوعاه ، ج ١ ، ص ١٥ .  
 (٥٩) ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، ت . الطاهر مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ، سنة ١٩٩٣م .  
 (٦٠) ابن حزم : مداواة النفوس في الأخلاق والسير ، ت . إحسان عباس ، ج ١ ، من رسائل ابن حزم .  
 (٦١) ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ٢٤ .

كتاب ( معجم ما استعجم ) وكتاب ( شرح أمثال عبيد ) (٦٢) . والفقيه " أحمد بن عبد الولي بن أحمد بن عبد الولي البتي " ( ت. ١٠٩٦هـ ٤٨٨ م ) وكنيته أبي جعفر الذي كان كاتباً وشاعراً بليغاً قائماً على الأدب والنحو واللغة (٦٣) . والفقيه " أبو الوليد الوقشي " ( ت. ١٠٩٧هـ ٤٨٩ م ) ويعد من أشهر الفقهاء الذين برعوا في الأدب ودرسوه بشتى أنواعه فقرض الشعر ودرس النحو والأدب والخطابة (٦٤) .

ونمينا يلي عرض لبعض جوانب الحياة الأدبية في الأندلس في القرن الخامس الهجري :

### أ. الشعر:

أرجح " ابن خلدون " أصول هذا الفن إلى أربعة دواوين هي أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابي علي القالي البغدادي وماسواهم فرجع حتى ألف " أبو الفرج الأصفهاني " كتاب ( الأغاني ) الذي جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرثيد، وقد اعتبره " ابن خلدون " ديوان العرب وجامع أشنات المحاسن (٦٥) .

ويأتى الشعر في صدارة فرعي الأدب الكثيرة، وقد برع فيه الكثير من الفقهاء بشكل أسهم في زيادة شعبيتهم وبخاصة ما عرف عن الأندلسيين من ولع بالشعر الذي إزداد في عصر ملوك الطوائف . ففي هذا العصر كان الشعر في أوج إزدهاره، بسبب سعي هؤلاء الملوك على تقريب الشعراء وتقديرهم وتشجيعهم على ذكر المزيد منه . وعلى الرغم من أن الشعر يعد بعيداً عن ميول علماء الدين وفقاً لما ورد في القرآن الكريم إلا أن تقويم الإسلام للشعر قد جعل منه فناً محبوباً شائعاً لدى المسلمين ، ولهذا اختار الفقهاء أغراضاً لشعرهم

(٦٢) السيوطي : بغية الوعاة ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٦٣) ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٦٤) ابن صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ت. حياة بو علوان ، ص ١٧٨ .

(٦٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٠ .

تتفق مع ميولهم حيث بعدوا به عن السفه والغزل الصريح وغير ذلك . ومع أن " ابن حزم " قد جاب هذا الميدان وأن المصادر الأدبية قد أشادت بأشعاره إلا أنه اعتبر أن الكسب من وراء الشعر يعد أمراً غير محمود حيث ذكر : " أن الإكثار من رؤية الشعر هو كسب غير محمود لأنه من طريق الباطل والفضول لا من طريق الحق والفضائل ، ولا يظن ظان أن هذا علم جهلناه فذممناه فقد علم من داخلنا أو بلغه أمرنا كيف توسعنا في رؤية الشعر وكيف تمكنا من الإشراف على معانيها " (٦٦) .

### ومن أبرز أغراض الشعر التي كتب فيها فقهاء الأندلس :

١. شعر الوعظ : وهذا النوع من الشعر يعد إفراناً طبيعياً للظروف السياسية التي أدت إلى

تفكك المجتمع وانفراط عقده ، وقد أراد به الفقهاء أن يصلحوا الفاسد من المجتمع ، ومن

ذلك ما ذكره الفقيه " أبو عبدالله بن أبي زمنين " ( ت. ٣٩٩هـ ١٠٠٧ م ) :

الموت في كل يوم ينشر الكفنا      ونحن في غفلة عما يراد بنا  
لا تطمئن إلى الدنيا وزخرفها      وإن توشحت من أثوابها الحسن (٦٧)

وكتب الفقيه " أبو الوليد بن جهور " :

إصبر فلست ترى على      أحد حماه الصبر عارا  
فإصبر أنفع ذخيرة      لو كنت آتية اختيارا (٦٨)

وقال " أبو إسحاق الألبيري " :

لا شيء أخسر صفقة من عالم      لعبت به الدنيا مع الجهال  
فعدا يفرق دينه أيدي سبا      ويزيله حرصاً لجمع المال

(٦٦) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، ج ٤ ، ص ٦٩ .  
(٦٧) الحميدي : جذوة المقتبس ، ق ١ ، ص ١٠١ . المقري : نفع الطبيب ، ج ٥ ، ص ٩٦ .  
(٦٨) ابن الأبار : الحلة ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

من لا يراقب ربه ويخافه      تثبت يدها وماله من وال (٦٩)

وقال " أبو عمر يوسف بن عبدالير " :

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها      ورف سبيل الدين بالعرى الوثقى  
وسارع بتقوى الله سرّاً وجهرة      فلا ذمة أقوى هديت من التقوى (٧٠)

ونكر الفقيه " أبو محمد غانم بن الوايد الخزيمى " ( ت. ٤٧٠هـ / ١٠٧٨ م )

الصبر أولى بوقار الفتى      من قلق يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حاله      كان على أيامه بالخيار (٧١)

واشتهر عن الباجي هذين البيتين :

إذا كنت أعلم علم اليقين      بأن جميع حياتى كساعة  
فلم لا أكون ضنيناً بها      وأجعلها فى صلاح وطاعة (٧٢)

وكتب الفقيه " أبو الوايد يونس بن الوايد بن مغيث " المعروف بابن الصفار :

فررت إليك من ظلمى لنفسى      وأوحشنى العباد فأنت أنسى  
رضاك هو المنى وبه أفتخارى      ونذكرك فى الدجى قمرى وشمسى  
قصدت إليك منقطعاً غريباً      لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى (٧٣)

ومن أقوال الفقيه " أبى القاسم الألبيرى " المعروف بالسّميسر :

تحفظ من ثيابك ثم صنّها      وإلا سوف تلبسها حدادا

(٦٩) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ٩٥ .  
(٧٠) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٩٦ .  
(٧١) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٣ ، ص ٦٠٩ .  
(٧٢) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٣ ، ص ٦٠٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ج ١٢ ، ص ١٢٢ ؛ النباهي : قضاة الأندلس ، ص ٩٥ . المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .  
(٧٣) الحميدى : جنوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٦١٣ .

- (٧٤) وميز في زمانك كل حبر  
وقال الفقيه " أبو الوليد الونشي " :  
ونظر أهله تسد العبادا  
برح بي إن علوم الوري  
(٧٥) وباطل تحصيله لا يفيد  
حقيقة يعجز تحصيها  
وهناك أشعار ظهر فيها تقوى الفقهاء وتقربهم إلى الله ، وفي هذا قال ابن حزم :  
(٧٦) يارب عفواً فأنت مولى  
ومن قول " الباجي " :  
ومبدع السمع والأبصار والكلم  
الحمد لله ذى الآلاء والنعم  
(٧٧) يكفر فكم نعم آلت إلى نقم  
من يحمد الله يأتيه المزيد ومن  
ومن قول الفقيه " السميصر " :  
لا عيش إلا في الكفاف  
دع عنك جاهاً ومالاً  
من الردى وعفاف  
قوت حلال وأمن  
(٧٨) وكل ما هو فضل فإنه إسراف

٢. شعر الزهد : اشتهر هذا النوع من الشعر في القرن الخامس الهجري عما قبله نظراً لاضطراب أحوال البلاد ، وإذا كان قد شارك فيه العديد من الشعراء إلى جانب

(٧٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ؛ المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ ؛ هنري بيرس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ت. الطاهر مكي ، سنة ١٩٨٨م ، ص ٣٨٩ .  
(٧٥) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ ؛ هنري بيرس : الشعر الأندلسي ، ص ٢٩٣ .  
(٧٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .  
(٧٧) الباجي : عبدالله محمد الجبوري : مقدمة كتاب أحكام الفصول في أحكام الأصول ، ص ٢٤ .  
(٧٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٨٩١ .



ثم عاد " ابن حزم " وتدارك الوقوع في فخ الفخر إمتثالاً لقول الله تعالى : " إن الله لا يحب كل مختال فخور " فكتب قائلاً :

وقد كان لي في يوسف خير أسوة  
يقول مقال الحق والصدق أننى  
وليس على من بالنبي أتسى ذنب  
حفيظ عليم ماعلى صادق عتب (٨٣)

وبما قاله الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبد البر " :

إذا فاخرت فاخر بالعلوم  
فكم أمسيت مطرحاً بجهل  
ويع ما كان من عظم ريم  
وعلمى حل بي بين النجوم  
كم من وزير سار نحوى  
وكم أقبلت متئداً مهاباً  
فلازمنى ملازمة الغريم  
فقام إلى من ملك عظيم (٨٤)

٤ . شعر المدح : على الرغم من أن الفقهاء قد شاركوا في شعر المدح إلا أنهم أحاطوه

بمحاذير في أغلبهم فابتعدوا عن مدح الحكام والتملق إليهم لأغراض شخصية  
والتزموا بالمدح المعتدل والصادق في أغلبه ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه " أبو إسحاق  
الألبيري " في مدح استاذه القاضي " على بن توبة " وإن كان قد أفرط في مدحه فقال :  
وأوأنصفته وذاك قليل  
فأنا عبده وذاك فخارى  
كان خدى لرجله كالحذاء  
وجمالي بين الورى وبهائى (٨٥)

وكتب " أبو الوليد الباجي " في مدح قاضى العراق " أبو جعفر محمد بن أحمد

السمناني " وكذلك في مدح " المعتضد بن عباد " :

عباد استعبدوا البرايا  
بأنعم تبليغ النعائم

(٨٣) عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٥ .

(٨٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(٨٥) أبو إسحاق الألبيري : ديوانه ، ص ٤١ .

وكتب في مدح الأمير " معز الدولة أبوعلوان بن أسد الدولة "

(٨٧) فحل الهوى من سرحبك أهل      وصرف النوى عن شمل شوقى غافل

٥ . شعر الوصف : كان لطبيعة الأندلس الساحرة أثر على مشاعر الشعراء بشكل عام وشارك الفقهاء فى هذا النوع من الشعر . فكتب " أبو الحزم جهور بن جهور " يصف الورد قائلاً :

(٨٨) الورد أحسن ما رأأت عيني      وأذكى ماسقى ماء السحاب الحائد

وكتب " ابن القوطية " فى وصف الربيع :  
(٨٩) ضحك الثرى وبدا لك استبشاره      فاخضر شاربيه وطرع عذاره

ووصف " أبو الوليد القوشى " البحر قائلاً :  
قد بينت فيه الطبيعة أنها      عنيت بمشهد فلاحظت فوقه  
تدقيق أعمال المهندس ماهرة      بالمسك خطأ من محيط الدائرة (٩٠)

٦ . شعر الغزل : أحجم غالبية الفقهاء عن المشاركة فى هذا النوع من الشعر ، إلا أن القليل منهم قد كتب فى الغزل العفيف بعيداً عن المجون والابتذال ، فذكر " ابن بطال البطليوسى

خلىلى ماللريح أضحى نسيمها      يذكرنى ماقد مضى ونسيت  
أبعد نذير الشيب إذ حل عارضى      صبوت بأحداق المهاوسبيت (٩١)

(٨٧) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .

(٨٨) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٨٥ .

(٨٩) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ ؛ الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٦٢٣ .

(٩٠) السيوطى : بغية الوعاة ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٩١) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٣ ، ص ٧١٠ .

### ونكر "أبوجعفر البتي" :

غصبت الثريا في البعاد مكانها      وأودعت في عيني صادق نوئها  
وفى كل حال لم تزلي بخيلة      فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها (٩٢)

على أن هناك بعض الفقهاء المنحرفين الذين شاركوا في أشعار المجون والخمر مثل "أبو إسحاق الألبيري" في حين وقف بعضهم مهاجماً لهذا الاتجاه على الرغم من أن معارضتهم كانت تضر أصحاب هذه التجارة وكذلك الضريبة التي كانت تجبي عليها مثل الفقيه "ابن حزم" (٩٣).

### ٧. شعر الرثاء : كثرت مشاركات الفقهاء في هذا الغرض من الشعر ومن ذلك ماكتبه

فعلت اليأس لي حصناً ودرعاً      فلم ألبس ثياب المستضام  
وأكثر من جميع الناس عندي      يسير صانني دون الأنعام  
إذا ماصح لي ديني وعرضي      فلست لما تولى ذا اهتمام (٩٤)

وكتب "أبو الوليد الباجي" في رثاء ولده محمد الذي توفي في حياته :

أمحمد إن كنت بعدك صابراً      صبر السليم لما به لا يسلم  
ورثت قبلك بالذبي محمد      وارزئ؛ أدهى لدى وأعظم (٩٥)

(٩٢) ابن دحية : المطرب في أشعار المغرب ، ت. مصطفى عوض الكريم ، الخرطوم ، سنة ١٩٥٧م ، ص ٢٧٩ .  
(٩٣) ابن حزم : مخطوطة القسطنطينية التي حللها أسين بلاثيون ، مجلة الأندلس ، ٢م ، ع ١ ، ص ٣٧ - ٤٣ نقلا عن هنري بيرس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص ٣٢٣ .  
(٩٤) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ١٥٥ .  
(٩٥) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ٣م ، ص ٦٠٥ ؛ ابن بسام : النخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ١٠١ .

والمفقيه " أبو الوليد القوشى " شعر رثاء فى ضياع بلنسية وسقوطها فى يد النصارى ، وتعد قصيدته من أعظم ماكتب فى ضياع بلنسية على حد قول الأدياء ، وإن كان نصها ضائع ولا يوجد سوى ترجمة لها باللغة الأسبانية فى المدونة العامة (٩٦) .  
وفى رثاء بلنسية كتب " أبوالمطرف بن جحاف " قائلاً :

لإن كان الزمان أراد حطى وحاربنى بأموال وظفر  
كفانى أن تصافينى المقالى وإن عاديتهنى يأم دفر  
فما اعتزل اللئيم وإن تسامى ولاهان الكريم بغير وفر (٩٧)

٨. شعر الهجاء : وهذا النوع من الشعر يتنافى فى أغلبه مع تعاليم الإسلام السمحة لما به من تعريض بالأشخاص وذكر لعيوبهم ، ومع ذلك فقد شارك بعض الفقهاء فيه مثل الفقيه " أبى إسحاق الألبيرى " الذى هجا الفقيه " أبابكر بن الحاج " ، كما كتب يهجو فقيهاً يطلب الكيمياء فقال :

مأهون النفس على الباطل وأهون الدنيا على العاقل  
ترضى الفتى فى عاجل شهوة لو خسرا الجنة فى الآجل  
يبيع ما يبقى بما ينقضى فعل السفية الأحمق الجاهل (٩٨)

وإذا كان الألبيرى قد أخذ هذا الموقف من علماء الكيمياء أو من الفقهاء الذين درسوا هذا العلم فلا ينبغى أن يؤخذ على أنه موقف من جمهرة الفقهاء من العلوم التجريبية حيث اهتم بعضهم بمثل هذه العلوم .

وسبقت الإشارة إلى الأشعار التى هجا بها الفقهاء اليهود ومعهم " باديس بن حبوس " مثل " أبو إسحاق الألبيرى " و " ابن العسال " و " السميسر " ، ومع أن هذا النوع

(٩٦) الطاهر مكي : دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة ، ص ٢٥٠ - ٢٦٣ .  
(٩٧) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٨٢ . هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ، ص ٤٠٠ .  
(٩٨) أبو إسحاق الألبيرى : ديوانه ، ص ٥٩ .

من الشعر لا يتفق . كما سبق القول . مع طبيعة التعاليم الإسلامية حتى أن الفقيه "ابن حزم" قد علق على ذلك قائلاً : " فإن هذا الضرب أفسد الضرب لطالبه فإنه يهون على المرء السكون في حالة أهل السفه من كناس الحشوش و'لمعناه لصناعة الزمير المتكسبين بالسفاهة والذالة والخساسة وتمزيق الأعراض وذكر العورات وانتهاك حرم الآباء والأمهات ، وفى هذا حلول الدمار فى الدنيا والآخرة " (٩٩) ، إلا أن بعض الفقهاء المشهورين بقرض الشعر مثل "ابن العسال " و" السميسر " وغيرهما قد كتبوا فى الهجاء أشعاراً كثيرة قبل أن يتوبوا ويندموا على أفعالهم ، وإن كان هناك نوع من الهجاء الإيجابى مثل القصيدة التى هجا فيها " أبو إسحاق الألبيرى " باديس بن حبوس ووزير " ابن النغريلة " التى أسهمت فى إثارة أهل غرناطة وتخلصهم من هذا الوزير .

#### ٩ . أشعار كتبت فى الفقهاء : كان الفقهاء محور إهتمام الكثير من الشعراء فكتبوا فيهم

أشعار المدح والثناء ، فكتب "ابن دراج القسطلى " شعراً مدح فيه أحد القضاة قائلاً :  
 بحكم العدل من قاضى السماء      حباك بحق أحكام القضاء  
 وراثه مورث الأبناء مما      تحلى من تراث الأنبياء (١٠٠)

#### وكتب "ابن دراج " شعراً آخر رثى فيه أحد الفقهاء :

مأحسن الصبر فيما يحسن الجزع      وأوجد اليأس ماقد أعدم الطمع (١٠١)  
 وكتب " أبو الوليد بن زيدون " رثاءً فى القاضى "ابن ذكوان " :  
 أبوبكر فراع له الورى      هول تقاصر دونه الأهوال  
 قمر هوى فى التراب تحثى فوقه      لله ما حاذ الثرى المنهال (١٠٢)

(٩٩) ابن حزم : رسالة فى مراتب العلوم ، ص ٦٨ .

(١٠٠) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، صفحات متفرقة .

(١٠١) ابن دراج : ديوانه ، ص ٢٧٠ .

(١٠٢) ابن زيدون : ديوانه ، ت. كرم البستاني ، دار صادر - بيروت - ب.ت. ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

وكتب " ابن شهيد " شعراً رثى فيه " أبي العباس بن ذكوان " قال فيه :

يسير به النعش الأعز وحوله أبعاد كانوا للمصاب أقاربا

عليه حفيف للملائك أقبلت تصافح شيخاً ذاكراً لله تائباً

تخال حفيف الناس حول ضريحه خليطاً تخطى في الشريعة لاهبا (١٠٣)

وكتعبير عن حب العامة للفقهاء " أبي العباس بن ذكوان " لم يقتصر رثاؤه، على

" ابن شهيد " بل شارك الكثير من الشعراء في ذلك ومنهم " ابن الخياط " الذي كتب يقول:

عفا على الأيام بعد ابن ذكوان وتبحاً لدنيا غيرت كل إحسان

سأبكي دماً بعد الدموع بعبرة تغيّر إحساني وتعبر عن شاني

وإن حياتي اليوم بعد وفاته دليل بأن العذر في كل إنسان (١٠٤)

وقد تناول بعض الشعراء الفقهاء بالسخرية والتهمك والهجاء مثل الشاعر " ابن

خفاجه " الذي هجا المتمسحين في الدين قائلاً :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهّدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد وكنائس (١٠٥)

وعلى الرغم من أن بعض الفقهاء قد سايروا ركب الشعراء نظماً أو مشاركة في

جلساتهم إلا أنهم قد واصلوا إحاطتهم بالشعر بإطار من القيم الأخلاقية التي استقوها من

الإسلام نقداً أو تعليقاً وعبروا عن ذلك من خلال الشعر الذي نظمه بعضهم ، فقال بعضهم :

أنا أحب الشعر لكنني أبغض أهل الشعر بالفطرة

فلست تلقى رجلاً شاعراً إلا وفيه خلة تكره

(١٠٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ .

(١٠٤) النباهي : قضاة الأندلس ، ص ٨٧ .

(١٠٥) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .

إن لم يكن كفر تكن آفة  
والعجب والنوك إلى الجهل في  
تلازم الظهور أو السرّة  
أكثرهم إلا مع الندرّة (١٠٦)

كما شارك بعضهم الآخر من خلال كتاباته مثل الفقيه " ابن حزم " الذي دعا إلى تحاشي الكذب وتحاشي نظم الشعر في أهداف تحض عليه فقال : " صنفان من الشعر لاينهى عنهما نهياً تاماً ولا يحض عليهما بل هما عندنا من المباح المكره وهما المدح والرثاء فأما إباحتهم فلاّن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح ، وهذا يقتضى للراوى ذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال ، وأما كراهتنا لهما فإن أكثر ما في هذين النوعين الكذب ولاخير في الكذب " (١٠٧) .

### ب. النثر:

ومن فنون النثر في الأندلس فن الرسائل التي تنقسم إلى نوعين رسائل ديوانية ورسائل إخوانية ، أما الرسائل الديوانية فتكون رسمية من الحاكم إلى عمال الولايات مثلاً ، أما بالنسبة إلى الرسائل الإخوانية فتكون بين الأصدقاء والإخوة وهي التي برع فيها الفقهاء مثل رسالة الفقيه " أبو عبيد البكري " إلى " المعتمد بن عباد " التي هنأه فيها بانتصار المسلمين في الزلاقة فقال : " فعدا الدين جديداً وإسلام سعيداً والزمان حميداً وعمود الدين قائماً وكتاب الله حاكماً " (١٠٨) .

كما برع الفقهاء في فن الخطابة مثل الفقيه الأديب " ابن سيده " ، فقد أورد " ابن بسام " خطبته التي رد فيها على نقد " ابن أرقم " له فقال : " تأملوا واعتبروا يا أولى الأبصار قد علم الكبير والصغير والخطير والحقير أن الشيب معيب وأن السواد مرغوب وأن آدم عليه السلام لما رأى شيبته بلحيته فزع منها .. " (١٠٩) .

(١٠٦) ابن بسام : النخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٨٩٣ .

(١٠٧) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، ج ٤ ، ص ٦٨ .

(١٠٨) ابن بسام : النخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(١٠٩) نفس المصدر : ق ٣ ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

وتعد المناظرات من فنون النثر، وتنقسم إلى مناظرات خيالية تكون بين شخصين على شكل رسائل، وهناك مناظرات غير خيالية وتكون بين الأدباء وتدور حول الإشادة والفخر بمناقب الأندلس أو بين مدنها ، حيث تفخر كل مدينة بما خصها الله به من مزيا ومحاسن

لا توجد في غيرها . ومن ذلك رسالة للفقهاء " ابن حزم " بين فيها فضائل علماء الأندلس وشملت رداً على رسالة لـ " ابن الربيب القيرواني " الذي ذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم (١١٠) ، ولعل في ذلك ما يذكر بأسواق مكة الأدبية التي كانت تحدث بين القبائل في العصر الجاهلي كسوق عكاظ وغيره .

### علم التاريخ والأخبار

اعتنى الفقهاء منذ العصر الأموي بتدوين التاريخ والمساهمة في مؤلفاته ، ومن الفقهاء الذين اهتموا بهذا العلم الفقيه " الحسين بن عاصم " الذي ألف كتاب (المآثر العامرية في سيرة المنصور بن أبي عامر) (١١١)

والفقيه " أحمد بن عبدالرحمن بن مطاهر الأنصاري " وكنيته أبو جعفر الذي كان يميل إلى تقييد الخبر ، وقد ألف كتاب ( تاريخ فقهاء طليطلة وقضاته ) وقد توفي سنة ٤٨٩ هـ ١٠٩٧ م (١١٢) .

ومن الفقهاء الذين اعتنوا بحفظ الخبر الفقيه "محمد بن عتاب بن محسن" مولى عبدالملك بن سليمان ( ت. ٤١٤ هـ ١٠٢٢ م ) (١١٣) ، والفقيه " سعيد بن أحمد بن يحيى بن زكريا المرادي الشقاق " وكنيته أبي عثمان ( ت. ٤٢٥ هـ ١٠٣٣ م ) (١١٤) .

(١١٠) عبدالعزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص ٤٧٣ .

(١١١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ١ ، ص ٣٠٠ . ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(١١٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(١١٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٥١٥ .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٢١٤ .

ومن الفقهاء الذين اهتموا بكتابة أخبار قرطبة وسيرة المرءنين الفقيه "سوار بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مطرف بن سوار بن دحون بن سوار" (ت. ١٠٥٢هـ/١١٥٤ م) وكنيته أبو سويد (١١٥).

أما الفقيه "ابن حزم" فقد قسم التاريخ إلى فروع فذكر: "علم الأخبار ينقسم على مراتب إما على الممالك أو على السنين وإما على البلاد وإما على الطبقات أو منثوراً فأصح التواريخ عندنا تاريخ الملة الإسلامية ومبدؤها وفتوحها وأخبار خلفائها وملوكها والمنتزين عليهم وعلمائهم وسائر ما انتظم بذلك" (١١٦)، واعتبر "ابن حزم" أن علم الأنساب مرتبط بعلم التاريخ وأنه جزء منه (١١٧)، كما وضع منهجاً علمياً لدراسة التاريخ حيث نوه إلى ضرورة الاستناد إلى الوثائق والمصادر الخاصة بالحقبة المعنية بالدراسة حيث ذكر: "وأما الأمم الدائرة من القبط واليமானين والسيريانين والأشمانين وعمون وموآب وسائر الأمم فقد بادت أخبارهم جملة، فلم يبق منهم إلا تكاذيب وخرافات، وأما الفرس فلا يصح شئ من أخبارهم إلا من كان من عهد دارا بن دارا فقط وأصح أخبارهم .... فالطالب للأخبار لا ينبغي له ألا يشتغل إلا بما أعلمناه بصحته ولا ينبغي له قطع وقته بما لا يجدى عليه نفعا" (١١٨).

وكان للفقيه "ابن حزم" إسهامه في كتابة التاريخ فكتب (رسالة الرد على ابن نغريله) و (رسالة في الإمامة والخلافة في سير الخلفاء) وفي تاريخ الأندلس (ذكر أوقات الأمراء وأيامهم في الأندلس) وكذلك (نقط العريس في تاريخ الخلفاء) (١١٩) وكتب في تاريخ الأديان كتابه المشهور (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وفي الأنساب كتابه (جمهرة أنساب العرب) (١٢٠).

(١١٥) نفس المصدر، ص ٢٢٤.

(١١٦) رسالة مراتب العلوم، ص ٧٩.

(١١٧) نفس المصدر، ص ٨٠.

(١١٨) رسالة مراتب العلوم، ص ٧٩.

(١١٩) رسائل ابن حزم، ت. إحسان عباس، أربعة مجلدات، ط ٢، القاهرة ١٩٨٧ م.

وشارك الفقيه " ابن صاعد الطليطلى " (ت. ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م) بكتابه (طبقات الأمم) (١٢١). أما الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبد البر " فقد ألف كتابين هما (الإستيعاب فى سير الأصحاب) و ( الدرر فى إختصار المغازى والسير ) إلى جانب كتاب آخر هو ( نزهة المستمعين وريضة الخائفين ) . وكذلك الفقيه " أبو بكر الطرطوشى " الذى كتب ( سراج الملوك ) الذى وضع قواعد منظمة للحكم وتناول فيه تاريخ حكام مصر (١٢٢) .

### علم الوثائق :

وكانت للفقهاء مساهمتهم فى علم الوثائق أيضاً (١٢٣) ومنذ العصر الأموى من أمثال الفقيه " يمن بن أحمد بن يمن التجيبى " ( ت. ٣٩٠هـ ٩٩٨م ) (١٢٤) . ومن الفقهاء الذين برزوا فى هذا العلم فى القرن الخامس الهجرى الفقيه " أحمد بن محمد بن عفيف بن عبدالله بن مريول بن جراح بن حاتم الأموى " وكنيته أبو عمر ( ت. ٤٢٠هـ ١٠٢٨م ) حيث اعتنى بالوثائق والشروط وتولى وظيفة عقد الوثائق السلطانية للخليفة المهدي فى قرطبة ثم هجرها فى عصر الفتنة (١٢٥) . وفى نفس الفترة فى إشبيلية كان الفقيه " أحمد بن عبدالقادر بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الأموى " وكنيته أبو عمر الذى ألف كتاباً فى علم الوثائق هو ( المحتوى ) من خمسة عشر جزءاً (١٢٦) ، وكذلك الفقيه " خلف بن مسلمة بن عبدالصبور " وكنيته أبو القاسم وهو من أهل إقليش حيث أخذ عن " ابن الهندى " و " ابن العطار " كتاب ( الوثائق والسجلات ) (١٢٧) .

(١٢١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(١٢٣) المقصود بالوثائق العقود التى تكتب بين الناس لتنظيم معاملاتهم وإثبات حقوقهم ، وهذه الوظيفة ظهرت فى الأندلس وهى تقابل الشاهد العدل . وهناك شروط فى كتاب الوثائق كالخبرة الفقهية ووضوح الخط واللفظ المتقن أى إجادة اللغة العربية . أنظر رسالة ابن عبدون ، ص ١٣ .

(١٢٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٥١ .

(١٢٥) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٢ ؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٣٥ . وذكر القاضى عياض أنه توفى سنة ٤١٠هـ .

(١٢٦) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(١٢٧) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .

وقد ألف الفقيه " ابن سعيد " المعروف بابن سرحان المرى (ت. ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كتاباً في الوثائق هو ( المفيد ) (١٢٨) ، كما ألف الفقيه " أبو محمد عبدالله بن فتوح السبتي " ( ت. ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م ) كتاب ( الوثائق المجموعة ) (١٢٩) .

### ثانياً: العلوم العقلية والعملية

شهد القرن الخامس الهجرى تطوراً وازدهاراً في كافة العلوم نظراً لما اعتاده ملوك الطوائف من استجلاب العلماء والشعراء وما أدى إليه ذلك من تنافس فكري وحضاري بين المدن فلم تعد قرطبة وحدها مركزاً للعلوم بل شاركتها العديد من المدن فمجاهد العامري في دانيه حرص على جمع العلماء ، والمعتمد بن عباد في إشبيلية جعل منها مركزاً للشعراء والشعراء .

الفلسفة وعلم الكلام : على الرغم مما سبق ذكره، فقد تأخر إنتشار الفلسفة في الأندلس إلى ما بعد توطد ملك بنى أمية فيها (١٣٠) ، كما أنها بدأت قليلة في القرن الثالث الهجرى . وقد وصلت الفلسفة إلى الأندلس عن طريق المشرق بعد أن إنتشرت الفلسفة اليونانية في الشام لمعرفة أهلها بهذه اللغة (١٣١) . وقد ذكر أن أول من اعتنى بها هو " الناصر " الذي كان يعد حامياً للفلسفة ، ثم واصل العناية بهذا العلم وغيره من العلوم " الحكم المستنصر " ، ولكن بعد وفاته قام " المنصور بن أبي عامر " بحرق كتب الفلسفة ولم يترك سوى الكتب الدينية وكتب الطب والحساب (١٣٢) وأصبحت الفلسفة من العلوم الخارجة عن الدين ، وإن كان بعض المؤرخين قد أنكروا ذلك ونكروا أن " المنصور بن أبي عامر " كان محباً للفلسفة وأنه قام بحرق

(١٢٨) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٨٨ .

(١٢٩) نفس المصدر ، ص ٨٣٠ .

(١٣٠) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٥٥ .

(١٣١) أحمد فؤاد الأهواني : الفلسفة في الأندلس ، ص ١٠٢ .

(١٣٢) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٦٤ ؛ خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس ، ت. الطاهر مكي ،

دار المعارف ، القاهرة ب. ت. ، ص ٣٧ ؛ عبدالعزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص ٧٩ .

مجموعة منها فقط وليست جميعها ويقصد إرضاء العامة ، وأشار بعضهم إلى أن الرغبة في الفلسفة قد ارتفعت بعد ذلك وأن علماءها قد عظم شأنهم في القرن الخامس الهجري حيث قاربت منزلة الفقيه مستدلين على ذلك بما ذكره "ابن زيدون" في مدح " المعتضد بالله بن عباد " (١٣٣) . ولعل ذلك يوضح أن انتشار العلوم في الأندلس قد ارتبط برغبة الحكام أو تشجيعهم فانتشار علوم الدين وازدهارها ارتبط بتشجيع الحكام ، أما الفلسفة والمنطق فقد حدث لها عكس ذلك .

وبما تجدر الإشارة إليه هو أن فقهاء المالكية في الأندلس منذ العصر الأموي لم يتقبلوا علم الفلسفة والمنطق واعتبروا دراستها خرجاً على الملة واتهموا دارسها بالإلحاد (١٣٤) . وظل الفقهاء على موقفهم من الفلسفة بشكل جعل تطورها وظهورها مشوباً بالقلق والخوف أمام حرص الفقهاء الدائم على مقاومتها والوقوف في سبيلها (١٣٥) .

وشهد القرن الخامس الهجري شيئاً من الانفراج لهذا العلم الذي ارتبط باستنارة بعض الفقهاء ، بل إنه قد تطور على يد بعضهم مثل الفقيه " ابن حزم " الذي كان له تأثيره الواضح في ذلك كما أنه ألف فيه كتاب ( التقريب لحدود المنطق ) استخدم فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية وخالف فيه آراء أرسطوطاليس ، وكتاب ( الرد على الكندي الفيلسوف ) و ( تنوير القياس ) في المنطق ، وكتاب ( الأخلاق والسير ) الذي تناول الفلسفة الأخلاقية ، كما تناول في كتابه ( الملل والأهواء والنحل ) فلسفة اللاهوت (١٣٦)

---

(١٣٣) ابن زيدون : ديوانه ، ص ١٩ .  
(١٣٤) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، الإسكندرية ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٢٩٠ .  
(١٣٥) أحمد فؤاد الأهواني : الفلسفة في الأندلس ، ص ٩١ .  
(١٣٦) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ؛ القفطي : أخبار العلماء ، ص ١٥٦ ؛ رسائل ابن حزم ، رسالة التقريب لحدود المنطق ، ص ٦٠ ؛ هنري كوربان : الفلسفة الإسلامية من ينباع حتى وفاة ابن رشد ، ت. نصير مروة و حسن قبيس ، منشورات عويدات ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٢٣٧ .

وإن كان هذا الفقيه قد تعرض لحرق كتبه وبخاصة كتب الفلسفة والمنطق من " المعتضد ابن عباد " .

على أن " ابن حزم " كان ظاهري المذهب وربما كان لذلك أثر في إتجاهه فضلاً عن انه في ذاته كان ظاهرة فريدة ، أما الغالبية من فقهاء المالكية فضلوا على رفضهم لعلم الفلسفة أو على الأقل تعامل بعضهم معه بحذر شديد ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره " أبو الوليد الباجي " في وصيته لولديه حيث حذرهما من دراسة الفلسفة إلا على سبيل التحقق من بطلانها وعدم صلاحيتها حتى ولو كان ذلك قائماً على خدمة الدين (١٣٧) .

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض فقهاء المالكية قد تخطوا الحاجز إلى علم الفلسفة وكان إقتربهم منه واهتمامهم به من أهم أسباب رواجه ، ومن هؤلاء الفقهاء " أبو الوليد الومشني " الذي أشار " ابن صاعد " إلى تميزه في صناعة المنطق (١٣٨) ، وقد درس " ابن صاعد " على يديه الفلسفة والمنطق (١٣٩) .

أما النظرة العامة للفلاسفة فظللت تعتبرهم زنادقة الأمر الذي أدى إلى تخفى أهل هذا العلم في الغالب كما ورد عند " ابن سعيد " في تذييل رسالة ابن حزم فذكر : " أن الفلسفة علم مقبوت في الأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه " (١٤٠) . ولعل ظاهرة التخفى تعود جذورها إلى بداية ظهور هذا العلم ، فمنذ العصر الأموي تخفى الفقهاء وغيرهم من إظهار علمهم بذلك مثل " أبو عبد الله محمد بن مسرة بن نجيح الكلبى " ( ت. ٣١٨هـ ٩٣١م ) حيث كان قد تأثر بالمعتزلة وظهرت له آراء فلسفية مناقضة لآراء أهل السنة ولكنه كان يخفيها متظاهراً بالصوفية أمام فقهاء المالكية ، وبعد أن افتضح أمره وكتب عنه الفقيه " ابن الحباب " هرب من قرطبة في أواخر عهد الأمير عبد الله متجهاً إلى

(١٣٧) أبو الوليد الباجي : وصية الباجي لولديه ، المجلد الأول ، ص ٢١ .

(١٣٨) ابن صاعد الطليطلي : طبقات الأمم ، ص ١٧٨ .

(١٣٩) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(١٤٠) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

المشرق ، وله كتاب ( التبصرة ) و ( الحرّوف ) وكذلك بعض المقالات التي قال عنها الحميدى : " وله مقالات نعوذ بالله منها " (١٤١) . وذكر " ابن الفرضى " أن الناس إنقسموا في رأيهم فيه إلى فرقتين فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة والزهد وفرقة تطعن عليه بالبدع (١٤٢) ، كما ذكر " ابن حزم " بعض جوانب من فلسفة " ابن مسرة " الدينية (١٤٣) . أما عن موقف الحكام من آرائه فإن الخليفة " عبدالرحمن الناصر " قد أنفذ إلى الأندلس بأسرها خطاباً نكل فيه بـ " ابن مسرة " واتباعه وأمر الفقهاء بعدم التهاون معهم. وتغير الموقف في عهد " الحكم المستنصر " حيث كثرت أتباع " ابن مسرة " وكونوا المدرسة المسرية التي ازدهرت نشاطها بعد وفاته (١٤٤) ، أما الفقهاء فقد اتهموه بالزندقة وكرهوه، وشنعوا عليه وعلى أتباعه .

وقد قام الفقيه " أبو بكر محمد بن ييقى بن زرب " ( ت. ٣٨١ هـ ٩٨٩ م ) بمتابعة أتباع " ابن مسرة " واستتابتهم ووضع كتاباً سماه الرد على ابن مسرة (١٤٥) ، وقد عاقب " ابن زرب " أتباع " ابن مسرة " مرتين الأولى في عهد " الحكم المستنصر " حيث قام بحرق كتبهم والثانية حين أصبح قاضياً سنة ٣٨١ هـ وهي المرة التي استتابهم فيها (١٤٦) . وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف مدرسة " ابن مسرة " في القرن الخامس الهجري حيث ظهرت على يد " إسماعيل بن عبدالله الرعيني " الذي أضاف أشياء جديدة على مذهب " ابن مسرة " (١٤٧) .

والجدير بالذكر أن علم الفلسفة كان في نشأته مرتبطاً بالعلوم الأخرى كالطب والهندسة والحساب والمنطق وإن كانت هذه العلوم سابقة عليه .

- (١٤١) جنوة المقتبس ، ق ١ ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .  
 (١٤٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ ؛ الضبي : بغية الملتبس ، ج ١ ، ص ١٢٠ .  
 (١٤٣) ابن حزم : الفصل في الملل ، ج ٥ ، ص ٦٦ .  
 (١٤٤) ابن حزم : رسائله ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .  
 (١٤٥) نفس المصدر ، ص ١٨٨ .  
 (١٤٦) ليفي بروفنسال : الحضارة العربية في أسبانيا ، ت. الطاهر مكي ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٩٤ م ، ص ١٧٤ .  
 (١٤٧) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٥ ، ص ٦٦ .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه هو أن المناظرات العلمية تكون نتيجة طبيعية لعلم الفلسفة والجدل والمنطق حيث تقوى هذه العلوم القدرة عليها<sup>(١٤٨)</sup>، وقد تستخدم هذه المناظرة في أصول الفقه مثلما حدث بين الفقيهين "عيسى بن سهل" و"أحمد بن محمد ابن عبدالرحمن الأنصاري" المعروف بابن الحداد التي أدت به المناظرة إلى عمل (رسالة الامتحان لمن برز في الشريعة والقرآن) ويبدو أن الغلبة كانت له في المناظرة<sup>(١٤٩)</sup> وقد تكون المناظرة حول كتاب معين مثل كتاب (الموطأ)، أو قد تكون عن كتاب لأحد الفقهاء في حياته أو مماته، أو تناول شخصية فقيه معين لإبراز إيجابيات وسلبيات عمله أو مذهبه أو منهجه أو مؤلفاته وتفنيده آرائه، ويبدو أن هذا ما كان سائداً في القرن الخامس الهجري حيث ورد أن الفقيه "يحيى بن يحيى بن سعيد الأموي" (ت. ٤٢٩هـ-١٠٣٧م) المعروف بابن بلج نواظر عليه في المسائل<sup>(١٥٠)</sup>، وكذلك الفقيه "محمد بن علي بن إبراهيم الأموي" (ت. ٤٧٩هـ-١٠٨٧م) كان يناظر عليه في الفقه<sup>(١٥١)</sup> والفقيه أحمد بن محمد بن رزق الأموي الذي كان مدار طلبه الفقه بقرطبة في المناظرة والمدارسة<sup>(١٥٢)</sup> كما تمت مناظرة بين إثنين مختلفين في العقيدة كالمناظرة التي تمت بين "ابن حزم" والوزير اليهودي "صموئيل بن النغريلة" سنة ٤٠٤هـ-١٠١٢م في مالقة<sup>(١٥٣)</sup>.

(١٤٨) ربط ابن خلدون بين الجدل وأداب المناظرة التي تعطي متسعاً في الرد والقبول وتعين المتناظرين على الاستدلال والجواب والفتنة على الإحتجاج، ومنها ما يكون خطأ مما دعا الفقهاء إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً تكون حدوداً للمتناظرين في الرد والقبول والاستدلال والإجابة والمعارضة والسكريت، ولذلك قيل فيه أنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه سواء كان ذلك في الفقه أو غيره. أنظر ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٦٢ وبراغى الإختلاف بين المناظرات العلمية والمناظرات الأدبية التي ورد الحديث عنها في فنون النثر؛ عبدالمجيد التركي: المناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والباقي، ت. عبدالصبور شاهين ومحمد عبدالحميد محمود، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة ١٩٨٦م - ص ٤٣.

(١٤٩) ابن الأبار: التكملة، ج ١، ص ٢٨، ٢٩.

(١٥٠) ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٤٩٢.

(١٥١) نفس المصدر، ص ٥٢٥.

(١٥٢) ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ٦٨.

(١٥٣) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ج ١، ص ١٧٠؛ إحسان عباس: تقديم رسائل ابن حزم، ج ٣، ص ١٧. وقد أشار ابن بسام أنه كان لابن حزم مع هذا اليهودي وغيره من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة ومصنفات معروفة.

وقد تكون المناظرة بين فقيهين ينتميان إلى مذهبين مختلفين مثل المناظرة التي تمت بين " ابن حزم " و " الباجي " .

وقد ألف بعض الفقهاء كتباً استخدمت في المناظرة مثل الفقيه " أبو القاسم بن بهلول " المعروف بالبربري ( ت. ١٠٥٢هـ/٤٤٤م ) الذي ألف كتاب ( التقريب ) في شرح المدونة حيث استخدمه طلابه في المناظرة<sup>(١٥٤)</sup> . كما أقام بعض الفقهاء مجالس للمناظرة مثل الفقيه " عبدالرحمن بن سعيد المرزاني " المعروف بالطالوتي (ت١٠٦٣هـ/٤٥٥م ) حيث كان الفقهاء يأتون إلى مسجده للمناظرة<sup>(١٥٥)</sup> وكذلك الفقيه " جماهر ابن عبدالرحمن الحجري " (ت.١٠٧٤هـ/٤٦٦م) حيث كانت له مجالس يناظر فيها وينظر عليه أحياناً ويعظ الناس في نهاية مجلسه<sup>(١٥٦)</sup> .

ومن أشهر المناظرات التي حدثت في القرن الخامس الهجري المناظرة التي كانت بين قطبي الفقه في الأندلس وهما الفقيه المالكي " أبو الوليد الباجي " والفقيه الظاهري " ابن حزم " والتي تمت سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م في ميورقة وبإيحاء من حاكمها " أحمد بن رشيق " الذي كان قد احتضن " ابن حزم " بعد خروجه من قرطبة . وأقام " ابن حزم " العديد من المناظرات مع فقهاء المالكية مثل " أبو الوليد بن الباربية " <sup>(١٥٧)</sup> ، والفقيه " محمد بن عوف " وكذلك الفقيه " محمد بن سعيد " ، وقد رجحت كفة " ابن حزم " عليهم لدرجة دعت بعضهم للاستعانة بالباجي . وقد سبقت الإشارة إلى أن الغرض من هذه المناظرات كان سياسياً حيث أراد حاكم ميورقة تغليب المذهب المالكي على الظاهري

(١٥٤) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨٢٩ .

(١٥٥) نفس المصدر ، ص ٨١٨ .

(١٥٦) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(١٥٧) أبو الوليد بن الباربية من فقهاء ميورقة ، تعصب على ابن حزم في المناظرة معه حتى حمل الوالي على سجنه أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨٢٦ ؛ ابن الأبار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٧١٨ .

نظراً لأن الأندلس في هذه الفترة قد واجهت موقفاً فريداً من نوعه وهو وجود خصوم للمذهب المالكي وحرص الحكام والعامّة على تأكيد غلبة المذهب المالكي (١٥٨).

وعلى الرغم من أن المناظرات قد أسهمت في الثراء الثقافي الذي ساد القرن الخامس الهجري فإن بعض المؤرخين قد تناول بعض الجوانب السلبية لها حيث رأوا أنها تنشر الجدل وتعمق الخلافات المذهبية كما أنها لم تسلم من الجوانب الشخصية وضربوا مثلاً على ذلك بما حدث بين "الباجي" و"ابن حزم" إستناداً إلى ما ذكره المقرئ من أن الباجي حين ناظر ابن حزم قال: "أنا أعظم منك همة في طلبي لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وأنا أسهر بقنديل بائت السوق" فرد عليه ابن حزم بقوله أن هذا الكلام عليك لا لك لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها في مثل مالي وأنا طلبته في حين ماتعلمه ونكرته فلم أرجوا إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فأفحمه (١٥٩). كما أشار البعض إلى أن المناظرات كانت تؤدي إلى الفرقة وانقسام الناس إلى أحزاب في وقت كانت الأندلس في حاجة إلى الوقوف صفاً واحداً أمام أطماع النصارى، ومن الصعب قبول هذا الرأي ذلك لأن المناظرة قد غلب فيها الجانب الإيجابي على الجانب السلبي، كما أن العلماء الحق لا يحولون الحوار العلمي أو الديني إلى عداة شخصي وأن هذا لم يحدث بين "ابن حزم" و"الباجي" إلا وليد اللحظة دون أن يكون بينهما عداة بعد ذلك بدليل أن "ابن حزم" قد أثنى على "الباجي" في أكثر من موضع ومن بين ثنائه قوله: "لولم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبدالوهاب إلا أبو الوليد الباجي لكفاهم" (١٦٠)، وأكد الفقيهان بموقفيهما صحة المقولة الشائعة أن إختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

(١٥٨) عبدالمجيد التركي: مناظرات الباجي وابن حزم، ص ٥٧.

(١٥٩) نفع الطيب، ج ٢، ص ٢٨٦.

(١٦٠) المقرئ: نفع الطيب، ج ٢، ص ٢٧٨.

## علم الهيئة والجغرافيا :

عرفه ابن خلدون بأنه : " علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك ، لزمّت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية " (١٦١) . وهذا العلم من العلوم التي ابتعد الفقهاء عنها بحجة أنه من العلوم الغيبية وأن دراسته بالتالي تعد خروجاً عن الدين ، وقد ظهر ذلك جلياً في وصية الباجي لولديه حيث اعتبر أن من يعتقد أن هناك تأثير للنجوم والكواكب من أحداث في الكون مخالف للشرعية الإسلامية ، ولكنه استثنى من ذلك الدراسات الفلكية المتعلقة بتعديل الكواكب (١٦٢) .

ولم يحل موقف الفقهاء من هذا العلم دون اتجاه بعضهم إلى دراسته مثل الفقيه ابن شهر الرعيّني " (ت ٤٣٥هـ - ١٠٤٣م) (١٦٣) ، والفقيه "محمد بن عمر بن محمد" المعروف بابن غوث (ت ٤٤٣هـ - ١٠٥١م) (١٦٤) ، والفقيه "محمد بن أحمد بن محمد بن الليث" (ت ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) (١٦٥) .

وإذا نظرنا فيما ذكره " ابن حزم " في أن علم النجوم ينقسم إلى معرفة الهيئة والتعديل ببرهانه ثم الذي يذكرونه من القضاء لأدركنا أن الفقهاء قد فرقوا بين دراسة الفلك أو علم النجوم وبين التنجيم الذي حرّمه الإسلام ، وقد ذكر " ابن حزم " عن التنجيم : " الإشتغال بأحكام النجوم لامعنى له ولايخلو من أن يكون مايحكون من قضاياها حقاً أو باطلاً ، إذ لاسبيل إلى قسم ثالث ، فإن كان حقاً فما لها فائدة إلا إستعجال الغم والهم والبؤس والنكد ، لتوقع المرض والنكبات وموت الأحبة ... " (١٦٦) .

(١٦١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٨٦ .  
 (١٦٢) الباجي : وصية الباجي لولديه ، ت. جودة هلال ، ص ٢٢ .  
 (١٦٣) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٧٤ .  
 (١٦٤) نفس المصدر ، ص ١٧٣ ؛ بلنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٥١ .  
 (١٦٥) نفس المصدر ، ص ١٧٦ . وقد وجدت هذه الظاهرة في القرن الرابع الهجري متمثلة في الفقيه يحيى بن يحيى بن السميني ، أنظر : نفس المصدر ، ص ١٩٩ .  
 (١٦٦) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، ج ٤ ، ت. إحسان عباس ، ص ٦٩ و ٨٠ .

### علم الرياضيات ( الحساب والهندسة ) :

عرفه " ابن حزم " بأنه علم العدد وتسمه إلى ضبط قوانينه ثم برهانه ثم العمل بذلك فى المساحات وغير ذلك . وقد اتجه كثير من الفقهاء إلى الاهتمام بعلم الحساب ودراسته والتأليف فيه لارتباطه لديهم بعلم الفرائض الذى يهتم بالمواريث وغير ذلك (١٦٧) كما أنه يعرفهم بأوقمات الصلاة ومواعيد الصيام وما إلى ذلك ، وهومن العلوم التى شجع " الباجى " الفقهاء على دراستها مستشهداً بقول الله تعالى : " لتعلموا عدد السنين والحساب " (١٦٨) .

ومن الفقهاء الذين أولوا هذا العلم عنايتهم الفقيه " أحمد بن محمد بن أحمد بن الفرضى " المتوفى ( ت. ٤١٣هـ - ١٠٢١م ) الذى عمل مؤبداً للحساب وألف فيه كتابين أحدهما فى الفرائض والحجب على قول زيد بن ثابت والآخر فى الفرائض أيضاً (١٦٩) . وكذلك الفقيه " أحمد بن عبدالله الغافقى " المعروف بابن الصفار ( ت. ٤٢٦هـ - ١٠٣٤م ) الذى كان مقدماً فى علم الحساب والعدد (١٧٠) ، وكانت لكل من الفقيه " أبى محمد بن الشقاق " ( ت. ٤٢٦هـ - ١٠٣٤م ) و" ابن القوطية " ( ت. ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م ) مشاركات فى علم الحساب والعدد (١٧١) . كما شارك فى التأليف فى هذا العلم كل من الفقيه " عبدالله بن غالب بن تمام الهمذانى " ( ت. ٤٣٤هـ - ١٠٤٢م ) و" لفقيه " صالح بن عبدالله الأموى القسام " (١٧٢)

(١٦٧) نفس المصدر ، ص ٨٠ .  
 (١٦٨) الباجى: وصية الباجى لولديه، ت. جودة هلال، ص ٢٢؛ وانظر أيضا ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٨١ - ٣٨٦ .  
 (١٦٩) ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ٣٨ .  
 (١٧٠) نفس المصدر، ص ٤٦ .  
 (١٧١) القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٧٢٩؛ ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ٣٤٢ و ٤٥٩ .  
 (١٧٢) ابن فرحون: النديباج، ج ١، ص ٤٣٥؛ ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ٢٣٠ ووجد العديد من الفقهاء الذين اهتموا بدراسة الحساب والفرائض مثل الفقيه ابن مزين وابن شهر الرعيني وابن يرغوث وابن الوليد القرشى المالقى وابن الليث وابن مغيث الصدفى وأبو مروان بن مالك وابن جماهر الحجرى وابن غالب الأموى وابن خضر الأنصارى وغيرهم .

## علم الطب :

وقد قسمه " ابن حزم " إلى قسمين طب النفس وهو من نتيجة علم المنطق بإصلاح الأخلاق ومداواتها وصرفها عن الإفراط والتقصير وإقامتها على الاعتدال ، وطب الأجسام وهو ينقسم إلى معرفة الطبائع الجسمية ومعرفة تركيب الأعضاء والعلل وأسبابها وما تعارض به من الأدوية والأغذية وينقسم أيضاً إلى قسمين كالجبر والبتروالكي والقطع وعمل فى صرف قوى العلل بقوى الأدوية وهى الأخرى تنقسم إلى قسمين حفظ الصحة لئلا يحدث المرض ثم معاناة المرض (١٧٣) .

وقد بدأت العناية بهذا العلم فى الأندلس بنقل كتب النصارى مثل " ابقراط " و " جالينوس " ويقصد مداواة الملوك (١٧٤) ، واعتمد الأطباء فى بداية الأمر على نقل المختصرات الموجزة دون الرجوع للأصول ، ويبدو من هذا أن اهتمامهم بدراسة هذا العلم فى هذه الفترة كان قاصراً على الاستفادة منه دون دراسته فى حد ذاته . كما أن أغلب الأطباء فى العصر الأموى كانوا من اليهود والنصارى فى البداية حتى اتجه المسلمون إلى دراسة هذا العلم فى بغداد ثم عادوا ليعلموه فى الأندلس .

على أن القرن الخامس الهجرى قد شهد كثرة من الأطباء اليهود ، ويبدو أن ذلك كان من بين الدوافع التى جعلت الفقهاء تقبل على دراسة هذا العلم حتى لا يستعينوا باليهود (١٧٥) .

ومن الفقهاء الذين اهتموا بدراسة هذا العلم فى العصر الأموى الفقيه " يحيى بن السمينه " . أما فى عصر ملوك الطوائف فقد شارك الفقيه " أبو الوائيد الومشى " والفقيه " أحمد بن يحيى بن أحمد بن سميح بن واصل " ( ت. ٤٥١هـ - ١٠٥٩م ) والفقيه

(١٧٣) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، ص ٨٠ . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(١٧٤) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٨٥ .

(١٧٥) سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفى ، ص ٣٦٦ .

"أبو جعفر بن بكر" المعروف بالكندى (ت. ٤٥٤هـ - ١٠٦٢م) (١٧٦). فقد اعتنوا بهذا العلم ولهم اسهامات فيه .

وتعد أسرة بنى زهر من الأسر الأندلسية التي أشتهر أبناءها بالطب ، فكان جدهم الأكبر الفقيه " محمد بن مروان بن زهر الأيادى الإشبيلي " (ت. ٤٢٢هـ - ١٠٣٠م) فقيهاً حاذقاً ومتقناً لكثير من العلوم (١٧٧) ، وقد برع أولاده وأحفاده فى الطب مثل " أبو مروان عبد الملك " وابنه " أبو العلاء زهر " وكذلك ابنه " أبو مروان بن أبى العلاء " و " أبو بكر بن زهر " (١٧٨) .

وكان الفقيه " أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري " (ت. ٤٨٩هـ - ١٠٩٧م) له معرفة بالأدوية وقواعدها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وكل ما يتعلق بها وألف كتاباً فى ذلك هو ( أعيان النبات والشجريات الأندلسية ) (١٧٩) ، وذكر " ابن حزم " أن الفقيه " خلف بن عباس الزهراوى " قد ألف كتاباً فى الطب هو ( التصريف لمن عجز عن التأليف ) (١٨٠) .

وبشكل عام إذا كان للفقهاء موقف معاد لبعض العلوم إلا أنهم لم يتخذوا هذا الموقف من الطب حيث أقبل بعضهم على دراسته ، بل إن بعضهم قد أثنى على الطب والأطباء مثل الفقيه " السمسيسر " الذى كتب يقول :

كل علم ما خلا الشرع      وعلم الطب باطل  
غير أن الأول الطب      على رأى الأوائل

(١٧٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨٢١ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ج ٢ ، ص ٥٩٠ ؛ ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء وطبقات الأطباء ، مكتبة الحياة - بيروت - ب.ت. ، ص ٤٨٢ ؛ المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .  
(١٧٧) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ٣ ، ص ٧٤٧ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ ؛ المقرئ : نفع الطيب ، ج ٣ ، ص ١٣ .  
(١٧٨) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ص ٥١٧ .  
(١٧٩) ابن مساعد : طبقات الأمم ، ص ٥٠٠ . وقد أورد ابن الأبار أن الفقيه عبد الرحمن اللخمي قد ألف كتاباً فى الطب هو ( الأدوية المفردة ) واستعمله الناس واستفادوا منه ، انظر : التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .  
(١٨٠) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

هل تمام الشرع إلا أن يكون الجسم عاطل

فإذا كان عليلاً بطلت كل العوامل (١٨١)

كما أن بعض الفقهاء قد عرفوا الطب النفسى وبخاصة فى القرن الخامس الهجرى (١٨٢).

وإذا كان بعض الفقهاء قد وقف متحجراً أمام استيعاب بعض العلوم التجريبية كالطب والحساب والهندسة وغير ذلك ، ونظروا نظرة إقلال إلى المشتغلين بها حيث اعتبروها أقل مرتبة من العلوم الدينية مما دعاهم إلى السخرية من الذين اتجهوا إليها فقد وجدت مجموعة منهم رفضت هذا المنظر واعتبرت أصحابه غير واعين بتعاليم الدين الإسلامى بشكل شمولى ، ودعت إلى وحدة العلوم وفق منظور إسلامى شامل يدعو إلى النظر إلى كل العلوم سواء ارتكزت على أسانيد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أو كان لها نفعها باعتبار أن الاهتمام بالعلوم فى الإسلام مثل عقد لاتنفرط حباته ويكمل بعضه بعضاً ، وإذا جاز أن نطلق على هذا البعض مدرسة فإن " ابن حزم " يعد من أبرز رؤاها إستناداً إلى قوله : " فمن ذلك وجدنا قوماً من طلاب العلم يزرون بسائر العلوم وهذا نقص عظيم شديد لا ينتفع به صاحبه فى قسمة الفرائض والمواريث وأن يعرف من المطالع ما يعرف به أوقات الصلوات ودخول شهر رمضان ووقت الحج ، وإن لم يعرف مضار الأكل والمشرب أو شك أن يتناول مايؤذيه ويضره ، وذلك محرم وقد أمر رسول الله (ﷺ) بالتداوى فاتباع أمره فرض . فتعلم الطب فرض على الكفاية ومضيعه مضيع فرض القرآن عربى فلا سبيل إلى أن يعلمه من لم يعلم العربية ولاسيما إن كان المذكور لم يتناول من الشريعة إلا علماً واحداً من علومها ، فهذا إنسان ناقص مسىء إلى نفسه مهلك لها ...

(١٨١) ابن بسام : النخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٨٩٢ .  
(١٨٢) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، ج ٤ ، ص ٨٠ .

إلخ" (١٨٣). على أن " ابن حزم " لم يكن يقصد بذلك أن يقلل من قدر المتخصصين في علم واحد بل أراد إبراز قدر الإمام بأكثر من علم وأن الذي يقدر على ذلك هو أعلى مرتبة ، كما أنه كان مثلاً للفقهاء الذين وصلوا بالعلم إلى حد التجرد والبعد عن الهوى وعد اتخاذهم وسيلة لجاه أو سلطان بل التبحر فيه لذاته (١٨٤).

---

(١٨٣) نفس المصدر ، ص ٨٧ ، ٨٨ .  
(١٨٤) نفس المصدر ، ص ٨٨ . وقد ذكر ابن حزم أن : " من طلب العلم ليفخر به أو ليمدح به أو ليكتسب به مالا أو جاها فيعبد عن الفلاح " .